مجلة الرائد

العدد : ١٩٦ الموافق في رمضان ١٤١٨ هجري ١٩٩٨/١ ميلادي

عنوان المقال : عقبات على طريق التعاون والتنسيق	بقلم : د. أحمد فوزي

يحذر القرآن الكريم من الفرقة والاختلاف... يقول الله جل وعلا :

{ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم }

{ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات }

{ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء }

{ ولا تكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً }

{ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا }

والمسلمون الطيبون يقرؤون الآيات ويؤمنون ويصدقون ... ورغم ذلك فالفرقة بين المسلمين قائمة !!.

والملفت للنظر أن كل من تحاوره وتجادله وتحادثه تجده يحزن ويتباكى على الصف المنقسم ويتحرق قلبه وتتألم جوارحه على الوحدة المتمزقة ، وعلى الفرقة المنتشرة بين صفوف المسلمين...

ونحن أيضاً نتمزق ونتألم ونحترق... ولكن حين نبكي على التمزق نتمنى أن يجتمع الناس على رأينا... أو على مذهبنا... أو أن ينتموا إلى جماعتنا...!!.

وألفت النظر هنا إلى بعد نفسي لخلفيات التباعد والفرقة والمواقف... فقد نوافق من حيث المبدأ جميعاً على ذم الخلاف والفرقة ولكننا لا نوافق على ذم أو نقد ما نفعله نحن بأنفسنا في هذه المجالات... لأننا نعتبره بعدها جزءاً من شخصيتنا وتكويننا ، فلا نتحمل التعرض لذواتنا... حيث أن ذواتنا - غالباً لا تتقبل النقد المباشر أو الشخصي...!

وقد تكون أسباب الفرقة أحياناً أموراً خلافية - نأخذ **مجال الفقه** مثلاً - يقر الجميع أنها خلافية ولكن الكثيرين يبنون عليها تضليلاً أو تفسيقاً أو تكفيراً أو براءاً أو ولاءاً .

إذن الأمور الخلافية والمواقف منها ، وتباين آراء الناس في مجالها تشكل عائقاً مهماً... هذا في مجال الفقه وهو مجال تحكمه غالباً نصوص القرآن والسنة .

مجال **الأمور الواقعية** ؛ في هذا المجال الأمور الخلافية أكثر منها في مجال الفقه ، فالناس كما نعلم لم تجتمع على النص حتى تجتمع أو نجمعها على رأي فلان أو فلان من الناس... والأمور الواقعية فيها اجتهادات واحتمالات مختلفة وتحتاج عادة لمعرفة لا تتوفر للكثيرين... ولكن الكثيرين يدخلون فيها

بنقاشات موسعة يتصلب كل منهم على رأيه... وهنا تتسع الشقة ويزداد التمزق والفرقة .

والوصول إلى الرأي الأقرب للصواب في مجال الأمور الواقعية يحتاج إلى **معرفة بعلوم الشرع... ومعرفة بالواقع ويحتاج أيضاً إلى سعة في العقل والفهم والإدراك وخبرة في الحياة**... وهذا ما لا يتوفر للكثيرين ، فمن تتوفر فيهم هذه الأمور يمكن أن تكون لهم المرجعية (الراشدة ، المرشدة) .

وهناك عقبات لها علاقة باختلاف وجهات نظر المسلمين تجاه **أساليب ووسائل الدعوة إلى الله...**

فمنهم من لا يرى أصلاً ضرورة لوجود جماعات إسلامية على سبيل المثال ، ومنهم من يحدد أولويات في عمله ومنهجه هي من الفرعيات أو المكملات عند آخرين .

ومنهم من يصرّ على وسائل العمل التاريخية التقليدية ويعتبرها من صلب الفهم الصحيح للإسلام... وكل ما هو مستحدث في هذا المجال بدعة يجب محاربتها وهكذا... وهي نقاط اجتهادية... يعتبر التفاهم عليها من أولويات التفاهم والتعاون والتنسيق على طريق الوحدة بين الحركات...

هناك معوقات أخرى على طريق التعاون والتنسيق والوحدة قد نجدها في الساحة الإسلامية عند مجموعة معينة محدودة أو ساحة واسعة من المسلمين ، منها على سبيل لفت النظر والتذكير :

١- وجود خلل فكري انفعالي : جعل الساحة الإسلامية - في كثير من الأحيان - تبتعد عن الواقعية فتنادي بشعارات قوية وتطرح نظريات براقة تدلل عليها من القرآن والسنة دون القدرة على تطبيقها .

وكثيراً ما يحلق المسلمون في سماء الأماني والأحلام إن لم نقل الأوهام... ليستيقظوا بعدها على صدمات الواقع المر الصعب... والصعوبة هنا هي التقريب والتأليف بين الحالمين... والواقعيين .

ويتبع النقطة هذه وجود خلاف بين المسلمين - العاملين - على تحديد سلم الأولويات... فهناك من يهتم بجوانب معينة ومفردات وجزئيات من فروع الدين المختلف عليها منذ فجر الإسلام ويصر على البدء بها... وآخرون يتركون هذه الجوانب لاجتهادات الأفراد وينشغلون في القضايا الكبرى ويؤكدون على ضرورة البدء بها... وهكذا...

٢- النقطة الثانية تتعلق بمنهجية التنسيق والتعاون أعني طريقة البحث وطريقة النقاش والحوار بين من يريدون التقارب .

فطبيعة الكلمات المختارة في الحوار والنقاش تقارب أو تباعد .

وموضوعية الأسلوب وحياديته وهدوئه يخدم الفكرة ويوصلها .

ومعرفة أن المشكلة بين المسلمين ليست فكرية فقط بل هي نفسية شعورية في أحيان كثيرة تجعلنا نفكر بتقريب القلوب قبل العقول .

وألفت النظر أيضاً إلى أن المخاطبة عن بعد مع الخلفيات المسبقة الموجودة عند كل طرف عن الأطراف الأخرى والتي - أحياناً - تكون ممزوجة بالأوهام والخيال... تزيد من الحواجز الموجودة ولا تساهم في إزالتها... بينما المقابلة والمواجهة والمعايشة والمناقشة تزيل هذه الحواجز وتعالج الأمر إيجابياً .

وضمن هذه النقطة ألفت النظر إلى بعض الملاحظات المفيدة في أحاديث واجتماعات التعاون والتقارب والتنسيق منها :

- عدم البدء بذكر المآخذ على الطرف الآخر ومحاولة البدء بالأمور المتفق عليها .

- محاولة الوقوف على مسافة واحدة من رأي كل مجموعة عند مناقشة هذا الرأي أو ذاك... أو ما يسمى بالحياد الفكري .

- التركيز على نقاط اللقاء في البداية وتأجيل الخلافيات لمرحلة تكّون الثقة .

- احترام المواقع الأصلية لكل طرف والتأكيد على سلامتها وأنها هي غاية الجميع (المرجعية - القرآن والسنة - التوحيد ...).

- انتداب شخصيات مؤمنة ومصممة على إنجاح التعاون إلى اللقاءات المنعقدة لهذا الغرض .

٣- عقبات أخرى :

وجود عقلية الاحتواء عند بعض الجماعات والتعامل مع الآخرين من هذا المنطلق ، ويقابل هذه الفكرة التهيب من الذوبان عند الآخرين... أو محاولات تكوين مناعة ذاتية وبالتالي تلقيح الأفراد بمحصنات تشكل على الزمن حواجز يصعب تخطيها للتعاون والتنسيق مع هذه الجماعة أو تلك ويقف بعدها الأفراد والجماعات موقف المستريب من كل مبادرة من المبادرات .